إدارة النزاع السوري : رهان القوى الدولية الإستراتيجي و تداعياته الإقليمية في الشرق الأوسط

Gestion du conflit Syrien: le pari stratégique du Grandes Puissances et ces implications régionale au Moyen-Orient

ط.د. عياش بوشريف ، القسم : علوم سياسية، الكلية: الحقوق و العلوم السياسية ، الجامعة : باتنة 01

ملخص الدراسة:

على إعتبار أن الأزمة السورية تورط أطرافا خارجية ، فإن إدارة النزاع المحلي تتطلب منا النظر في إستراتيجيات القوى الدولية نظرا لحجم التأثير الذي يلقاه الفواعل المحلية و حلفائهم الإقليميين ما يعرف بتأثير الأطراف الثالثة ، بحيث زيادة مستوى التعاون / التنافس بين القوى الدولية يزيد من فرص إدارة / تغذية النزاع المحلي . لذا نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى فحص إستراتيجيات القوى الدولية تجاه الأزمة السورية و هذا عبر توظيف عدسة نظرية المباريات التي تزودنا بتبصرات حول الإحتمالات المتوقعة للسلوك العقلاني للقوى الدولية تجاه الأزمة السورية . و وفق ذلك نقوم بإستشراف سيناريوهات على أساس المفاضلة بين إستراتيجي تعاون / تنافس و إنعكاساتها على إدارة النزاع ثم محاولة قراءة التداعيات الإقليمية لكل سيناريو .

الكلمات المفتاحية:

إدارة النزاع السوري ، القوى الدولية ، التنافس الإقليمي ، نظرية المباريات.

Résumé de l'étude:

Considérant que la crise syrienne implique des parties externes, la gestion de conflit locale nous oblige à considérer les stratégies des Grandes Puissances en raison de leur influence sur les acteurs locaux et leurs alliés régionaux, Ce qu'on appelle l'influence des tiers. Pour cela augmenter le niveau de coopération / compétition entre les Grandes Puissances augmente les chances de gérer / alimente le conflit locale. Donc, nous cherchons à travers cet article à examiner les stratégies des Grandes Puissances vers la crise syrienne, en utilisant la lentille de la théorie des jeux qui nous permet d'examiner les probabilités prévue du comportement rationnel de ces puissances à propos la crise syrienne. En conséquence nous construisons des scénarios basé sur la différenciation entre la stratégie coopération / compétition et ses implications sur la gestion de conflit, puis essayons de lire les implications régionales de chaque scénario.

Mots-clés:

Gestion du conflit Syrien, Grandes Puissances, compétition régionale, théorie des jeux.

مقدمة:

ينظر إلى الصراع الحالي في سوريا على شكل مباراة متعددة الأطراف ، يرتبط فيها النزاع المحلي حول الحكم بالتطورات الإقليمية و الأبعاد الدولية ما بات يشكل في المحصلة ساحة تنافس لمحورين كل منهما يتشكل من ثلاث مستويات دولي ، إقليمي مع إمتدادات محلية على ارض النزاع السوري مع استفادة كل منهما من الفواعل ما تحت دولاتية . هذا الاستقطاب المتعدد يصطف فيه الاطراف الخارجية عبر محور استمرار الوضع القائم الداعم لنظام الاسد ، تشكله روسيا ، ايران و الحكومة العراقية ، اما الثاني فيخص محور تغيير الوضع القائم الداعم للمعارضة السورية ممثلا في الولايات المتحدة ، السعودية ، دول الخليج وتركيا . ترتكز إستراتيجية اللاعبين المحليين داخل كل محور على قوة الإئتلاف الإقليمي و دعم القوى الدولية ما يجعل من مسار النزاع المحلي جزءا من ديناميكية دولية أوسع نطاقا نتيجة لترابط القضايا السياسية في الشرق الأوسط ، من هنا يعد إدارة النزاع السوري رهان من نوع مزدوج للأطراف الخارجية لتحقيق اجندتها الخاصة ، فهي تتعلق بالمصالح الجيوسياسية للقوى الدولية و مستقبل التوازن للقوى الإقليمية ، وفق ذلك يترك هذا الإهتمام الخارجي بمستقبل سوريا السياسي أثارا عديدة فقد يعمل على تطويل أمد الصراع و زيادة حجم الدمار و العكس يمكن للتعاون بين هذه الفواعل التعجيل في عمليات التسوية المحلية . على هذا الأساس مأزق القوى الدولية يكمن في إدارة النزاع السوري وفق مقاربة تلبي مصالحها الجيوسياسية و التي يراها حلفائها التقليديين في الشرق الأوسط تتوافق و إهتماماتها الأمنية .

لذا نسعى عبر هذه الورقة البحثية إلى فحص إستراتيجيات القوى الدولية في إدارة النزاع و هذا بالتركيز على العلاقة بينها و من ثم كيف ستؤثر كل نتيجة من النتائج المحتملة على مسار النزاع وصولا إلى قراءة النتائج المترتبة على كل سيناريو ، و هذا من خلال الإجابة على السؤال البحثي التالي :

ما هي الاحتمالات المتوقعة لسلوك القوى الدولية تجاه النزاع السوري ؟ و ما هي تداعياتها على السياسات الإقليمية ؟

تعتمد الاجابة عن هذه الاشكالية الى البحث في مجموعة من التساؤلات الفرعية المتممة :

هل بإمكان القوى الدولية إدارة النزاع السوري في ضل مصالحها الجيوسياسية المتضاربة ؟

ما اثر كل نتيجة من النتائج المحتملة لإستراتيجية القوى الدولية على مسار النزاع المحلي ؟

ما هي استراتيجية الأطراف الإقليمية المعنية حيال مختلف النتائج المتوقعة ؟

فرضية البحث : كلما زاد عدد الأطراف الخارجية المهتمة بنتيجة النزاع السوري ، كلما زادت المصاعب امام فرص التوصل الى ادارة النزاع المحلي ومن ثم تسويته.

منهجية البحث : لجأنا في مناقشته الظاهرة محّل الدراسة إلى توظيف ادبيات تحليل النزاعات بالاظافة إلى نظرية المباريات .

العرض:

1/ العلاقات بين الأطراف الثالثة خلال إدارة النزاعات :

يشير مفهوم إدارة النزاع إلى التدابير الرامية إلى تحريك النزاع نحو الحل السياسي أي الحد من مظاهر العنف ، و يمكن إدارة النزاعات على أساس ثنائي أو متعدد الأطراف تبعا لطبيعة النزاع ، بمعنى يدير طرف نزاعه مع خصمه بشكل تعاوني او يدار النزاع من قبل فواعل خارجية و هنا الأمر يتعلق بمسألة التفاوض أو الوساطة .[1] و بالنظر إلى توزيع القدرات داخل هيكل العلاقات بين الأطراف المتدخلة ما يعرف بالأطراف الثالثة تستطيع القوى الدولية أن تأثر في إدراك الأطراف المتنازعة لقدرتها النسبية ، و من ثم التأثير في سلوكها العدائي نحو بعضها و الوصول بها لمرحلة إدراك لحظة النضج. و بالتالي نجاح جهود الرافعة الدولية لوقف العنف المتبادل هو عملية إنعكاسية لإدراك جمعي يشير إلى وجود مأزق و كارثة تهدد الأطراف في المستقبل القريب او حافة الهاوية كما يصفها **زارتمان Zartman** ، و من ثم يمكن للجهات الخارجية ان تقترح بدائل لتسوية الصراع .[2] غير ان في النزاعات المزمنة و التي تعرف مستويات عالية من العنف ،يرى **جون ستيفن ستيدمان John S. Stedman** أن نجاح عملية الوساطة لا تستدعي حصول مأزق ضار متبادل بل يكفي أن يتم إدراك المأزق من قبل الراعي الذي يقف وراء طرف معين.[3] لذا من المهم التركيز على العلاقة بين الأطراف الثالثة خلال مراحل إدارة النزاع ، فالتعاون بينها يزيد من قدرتها على التأثير على الوحدات المتنازعة بما في ذلك فرض تسوية عليها أي تحويل العلاقات السلبية بين اللاعبين المحليين من لعبة ذات محصلة صفرية الى لعبة غير صفرية ذات مكاسب للجميع . لذلك الصراعات الدولية التي تتميز بتعاون الأطراف الثالثة او بحالة من الإستقطاب الأحادي أكثر ميلا إلى التحرك نحو التسوية السلمية من تلك الصراعات التي تتميز بصراع بين الأطراف الثالثة او بحالة الإستقطاب الثنائي او المتعدد.[4] ويشير التعاون خلال النزاع إلى حالة تتفق فيها الأطراف على العمل معا بتكلفة معينة على كل منها لتحقيق مكاسب جديدة لكل منها لا توفرها لها الإجراءات أحادية الجانب ، وهذا يعني الجمع بين المصالح المتضاربة من أجل تحقيق المصالح المشتركة .[5] و يمكن ان يحدث التعاون بين الدول المتعارضة استراتيجيا

وحتى الأعداء في مناسبات لحل قضايا محددة ، دون معالجة الصراع الأوسع . غالبًا ما يستخدم وصف الاستراتيجيات المتاحة للاعبين المتنافسين في نماذج نظرية الألعاب المختلفة مصطلح "التعاون" بنفس معنى الاتفاق على حل مشكلات معينة ، بعبارة أخرى لإدارة و ليس لحل النزاع[6].السؤال الأساسي هنا متى ولماذا تقرر الاطراف الثالثة التنافس خلال ادارة النزاع ؟ متى ولماذا تقرر التحول إلى إستراتيجية تعاونية لإدارة نفس النزاع ؟ هنا تكمن أهمية توظيف نظرية المباريات كونها تزودنا بمجموعة من القواعد لكل لاعب كما ترشدنا إلى كيفية التصرف في كل ما ينشأ من أوضاع يمكن تصورها .[7]

تقدم نظرية ا المباريات اطارا نظريا لوصف السلوك الاستراتيجي للدول خلال الوضع التنافسي او التعاوني ، و الذي يمكن تمثيله وفق نظرية المباريات التي يشترك فيها لاعبان و هي تمثل أبسط نماذج النظرية . إشراك اثنين من الفواعل العقلانية ، كل واحد منهم لديه اثنين من الاستراتيجيات المتاحة ، واحدة منها هي في الأساس التعاوني Cooperate ، والأخرى تنافسية في الأساس Defect . لتشكل اربع احتمالات تمثل عوائد مختلفة وفقا لكل استراتيجية ثنائية متبعة ، حيث تنشا المعضلة من هذا التفاوت في المكاسب .

الشكل 1 : نموذج مباراة ذات لاعبين

	اللاعب الثاني D	اللاعب الثاني C
اللاعب الاول C	D-C	C-C
اللاعب الاول D	D-D	C-D

C ,D تمثل الاستراتيجيات المتاحة لكل لاعب

تمثل عوائد معضلة السجين DC > CC > DD > CD

تمثل عوائد معضلة الجبان DC > CC > CD > DD

تمثل عوائد موقف صيد الغزال CC > DC > DD > CD

الاساس الذي تقوم عليه نظرية المباريات حسب **جون فنيومان** و **اوسكار مورجنشتيرن** ، يتمثل في كيفية انتقاء الحركة المناسبة و القدرة على معرفة التحرك القادم للخصم للتنبؤ بتحركاته المحتملة ، الامر الذي من شانه ان يؤمن افضل النتائج المتوقعة كصيغة مثالية في العمل الإستراتيجي .و عليه فان النظرية

تقوم على تحديد السلوك العقلاني الذي يمكن اللاعب من الفوز في مباراته مع الطرف الاخر. و تبعا لذلك عند تنازع طرفان على هدف معين فيفشل احدهما و ينجح الاخر في تحقيق الهدف نكون امام لعبة صفرية ، و التي تمثلها **معضلة السجين Prisoner's Dilemma** التي يشترك فيها لاعبان ، اذا اهتم كل من اللاعبين بمصالحه الخاصة فان الاثنين ينتهيان إلى حالة اسوا مما لو كان كل منهما عمل على تحقيق المصلحة المشتركة . كذلك ستكون خسارتهما اقل اذا تنافس الاثنان عوضا عن تعاون احدهما و تنافس الاخر ، و على نفس المنوال يكسبا اقل اذا تعاون الاثنان عما اذا احدهما تعاون والأخر تنافس ، هذا التفاوت في المكاسب هو الذي يخلق المعضلة. و بما ان الفواعل عقلانية فهي لا ترضى إلى بالمكاسب النسبية . و لكن اذا لم يتمكن الطرفان من الهدف تماما و سعيا إلى التساوم فيما بينهما للحصول على اقل من الهدف الاول نكون هنا امام النموذج غير الصفري . بهذا الشكل هي تمثل **معضلة الجبان Chicken** و التي تحمل بعض الشبه لمعضلة السجين ، ما عدا ان اسوا ناتج لكلا اللاعبين في معضلة الجبان يحدث عندما يتخلى كلا اللاعبين عن التعاون ، و لكن العائد (تعاون-تعاون) غير مستقر ، لأنه اذا اختار احد اللاعبين إستراتيجية تعاونية فان اللاعب الاخر سيكون له الحافز لاختيار الإستراتيجية تنافسية. اما في حالة امكانية التعاون لأجل الكسب المشترك (ربح-ربح) ، حيث كل لاعب ينظر إلى المكاسب المطلقة فيعبر عنها **بموقف صيد الغزال Stag Hunt**.[8]

2/ التدخل الدولي في النزاع السوري :

تلعب الاطراف الثالثة دورين رئيسيين في النزاعات ، الوساطة لتخفيف من حدة التوتر بين اطراف النزاع او التدخل في في توجيه سياسات الطرفين عن طريق مدهما بالمعونة الاقتصادية العسكرية و التأييد المعنوي و بالتالي زيادة قدرة الاطراف الثالثة على التحكم في السلوك الخارجي لهذه الاطراف في اتجاه مصالحها. [9] و من المشروع محاولة الاطراف الخارجية التأثير على الاطراف المتصارعة و دفعها الى مرحلة ادارة الصراع تمهيدا لتسويته ، و هنا قد تؤثر على الحسابات لا على الديناميكيات او الحاجات ، اي يمكن التأثير على حسابات الصراع و تسويته عبر اسلوب الترغيب و الترهيب و بشرط انهاء الاطراف الاساسية لحالة الحرب .[10]

دور روسيا و الولايات المتحدة في الصراع السوري تميز ما بين التدخل في توجيه سلوك اللاعبين الإقليميين و المحليين ، او الوساطة بينهم . من حيث التدخل اتسم دعم القوى الدولية لحلفائهم الإقليميين بالاستقطاب الثنائي الغير متكافئ ، عكس مقاربة **اوباما** المترددة ، اعتمد **بوتين** التدخل في سوريا حتى في حالة نفور الدول الاخرى منه و الدخول في تحالفات مضادة . مثل التدخل العسكري الروسي ورقة ضغط

على قوى تغيير الوضع القائم بإعادة توزيع القوة على خارطة النزاع ، في حين مثل التهديد بتخفيض الوجود العسكري ضغط على قوى الحفاظ على الوضع القائم .و وفق المقاربة الروسية هذا السلوك كان لتعزيز اجراءات بناء الثقة لحل النزاع ، اما تداعيات الانسحاب الجزئي الروسي في حالة العنف المستدام ستشكل نوع من التهديد الجديد على المنطقة ككل ، خاصة اذا حاولت بعض القوى اعادة رسم الادوار او ملا الفراغ. في حين تبقى المقاربة الامريكية التي رسمتها ادراة **اوباما** ثم **ترامب** هي عدم التورط في الشرق الأوسط ، اي ضرورة لعب القوى الإقليمية دور اكثر نشاط في تحقيق أمنها و حل قضاياها الإقليمية . ما يعني تقييد حلول القوى الإقليمية و المحلية نتيجة النفوذ العسكري الروسي .[11]

اما من حيث الوساطة بين أطراف النزاع ، عملت القوى الدولية إلى دعم المفاوضات بين طرفي النزاع ، سواء عبر جهود فردية على غرار مؤتمرات موسكو و جهود امريكا في توحيد موقف الوفد المفاوض عبر مجموعة اصدقاء سوريا . غير ان فشل الجهود الفردية غالبا ما يدفع الى انتهاج مقاربة جماعية لإدارة النزاع ، و هو سبب وجيه لبعث العمل المتعدد الاطراف عبر الرعاية الثنائية لسلسلة من المفوضات في اطار اجتماعات فيينا التي عرفت مشاركة 17 دولة دون أطراف النزاع ثم لاحقا مؤتمرات جنيف بالتنسيق مع هيئة الامم المتحدة وصولا الى المفاوضات الغير مباشرة برعاية روسية تركية ايرانية في مدينة استانا .[12] .وفقا **لزرتمان** فان هذا التدخل التعاوني لا يشير إلى التقدم نحو الحل السلمي، ولكن تحول في دينامية الصراع و تخفيض مستوى التصعيد كاتفاق وقف اطلاق النار الذي تدعمه روسيا وإيران وتركيا و الذي تطور لاحقا الى مناطق خفض التصعيد . و هي اقرب ما يكون إلى عملية ادراة الصراع بوصفها طريقة لتجميد الوضع العسكري القائم ، لكنها لا تفضي إلى قيام جهود سلام .[13]

3/ رهانات إدارة النزاع السوري

نتيجة الترابط السياسي للقضايا و المصالح المتضاربة في الشرق الاوسط . فان الادارة المتعددة الاطراف للنزاع السوري هي رهان إستراتيجي من نوع مزدوج ، يتشكل فيه عدم اليقين الإستراتيجي وفق مسارين الأول أفقي و يخص العلاقات البينية بين القوى الدولية لدواعي جيوسياسية ، في حين المسار الثاني عمودي داخل كل محور سواء الحفاظ على الوضع القائم او التغيير و يتعلق باهتمامات الحلفاء الاقليميين بشان مستقبل توازن القوى الإقليمي .

المأزق الإستراتيجي للقوى الدولية في الصراع السوري : مأزق روسيا و امريكا الإستراتيجي ، انها لم تكن قادرة على تحديد ما اذا كان يتعين عليهما ان يتعاونا ام تناور كل منهما ضد الاخرى [14]و السبب وراء ذلك هو المصالح ، في هكذا وضع تدخل الدول في حسابات لاستغلال هذه المواقف لتكون كفة العائد ارجح من

كفة التكلفة ، فالتفكير الإستراتيجي الجيد يتصرف بناء على هذا الدافع في الوقت الملائم . أهداف روسيا في سوريا إستراتيجية إلى حد كبير ،تتسم رؤية بوتين بالواقعية و تتماشى مع وسائل روسيا المحدودة .من خلال نشر عدد محدود من القوات الجوية الروسية فهو يريد الحفاظ على نظام الأسد ككيان سياسي ذي معنى . لأنه لا يزال وسيلة للنفوذ الروسي وجزءا من أي تسوية سياسية في المستقبل .و ان كانت روسيا لا تنوي غزو سوريا، فهي تأمل إلى استعادة العلويين إلى السيطرة الكاملة على البلد . تعمل على هزيمة الدولة الإسلامية لمنع الجماعات الجهادية السورية والعراقية من التوغل و الانتشار في مناطقها الاسلامية في الحد الادنى. اما إستراتيجيا فهي تعمل على تدعيم موقعها مقابل الولايات المتحدة ، و الحد من النفوذ الإيراني.[15] مأزق امريكا يكمن في اصطدام تصورات الضرورات الأمنية و نظيرتها المتعلقة بتعزيز الديمقراطية . فهي تدين الاسد إلا ان اكبر فصائل خصومه هي الجماعات الاكثر تطرفا التي يتعين على الولايات المتحدة ان تتصدى لها. [16]إستراتيجيا خيارات امريكا متناقضة ، فمنذ بداية الأزمة حاولت واشنطن لتحقيق سلسلة من الأهداف الصعبة وغير المتوافقة . وتقول "الأسد يجب أن يرحل"، لكنها لا تريد الجماعات الجهادية التي تقاتل فعلا الاسد لتحل محله .انها تريد القضاء على تنظيم الدولة داعش ، ولكنها تريد أيضا التنظيمات الاسلامية مثل جبهة النصرة ان لا تنجح . لأجل ذلك تقوم بالاعتماد على المقاتلين الأكراد للمساعدة في التعامل مع الدولة الإسلامية ، ولكنها تريد تركيا للمساعدة أيضا ، وتركيا تعارض أي خطوات قد تؤجج نيران القومية الكردية . فالمسالة اكثر من توازن قوى ، لذا الولايات المتحدة لا تحمل رؤية واضحة تلبي مصالحها الجيوسياسية و التي يراها حلفائها التقليديين في الشرق ال أوسط تتوافق مع أمنها و اهتماماتها .[17]

المأزق الإستراتيجي للقوى الإقليمية : طبيعة النظام الدولي السائد تأثر في سلوك الدول وقت حدوث الازمات الدولية و هو ما يمكن تسميته تأثير العامل الخارجي في عملية التفاعل بين اطراف ازمة ما ، كما تؤثر طبيعة هيكل النظام في نتائج تسوية الازمة و في الخصائص العامة لها ايضا.[18]من هنا مستقبل النظام الإقليمى فى الشرق الأوسط الذي يرتبط بشكل وثيق مع مخرجات النزاع السوري ،يخلق عدم يقين إستراتيجي اقليمي مزدوج يخص دور القوى العظمى . الأول هو عدم اليقين بشأن عودة روسيا إلى المنطقة هل ستستمر ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، كيف سيؤثر ذلك على العلاقات بينها و الجهات الفاعلة الأخرى في إدارة النزاع السوري ؟ اما الثاني هو عدم اليقين بشأن الدور المستقبلي للولايات المتحدة. هل ستظل

أمريكا عاملا أمنيا رائدا في الشرق الأوسط ، وإذا كان الأمر كذلك ، ما الدور الذي ستلعبه في إدارة الأزمة السورية ؟

و بناءا على هذين الرؤيتين المتناقضتين يتأثر السلوك الإستراتيجي لجميع البلدان في المنطقة ، بما في ذلك الولايات المتحدة وروسيا في تحريك الصراع نحو الحل وهذا يدفعنا لتساؤل هل بالإمكان الجمع بين المصالح المتضاربة من أجل تحقيق المصالح المشتركة.[19] في هذا السياق يرى توماس شيلينج ان الأطراف المتصارعة او المتعارضة إستراتيجيا ، تدرك بشكل او بأخر ان ثمة مصلحة مشتركة تجمع بينهما ، تتمثل على الاقل بتجنب الخسائر المتوقعة و المشتركة ، كما تدرك ان ثمة نقطة التقاء يمكن الوصول اليها للتخفيف من حدة الصراع او تجنب المواجهة . و ان السلوك العقلاني اذا كان يسعى إلى تجنب نتائج كارثة او خسائر يصعب تحملها فانه سيدفع إلى الاخذ بنظر الاعتبار التنازل المحسوب الذي يقود إلى نقطة التقاء .[20]

4/ تحول موقف القوى الدولية من معضلة السجين إلى معضلة الجبان :

ينظر **جلين سنايدر Glenn H. Snyder** إلى الصراع في السياسة الدولية على انه معضلة سجين او معضلة الجبان ، [21] هي ألعاب ذات دوافع مختلطة تنطوي على مزيج من المصالح المشتركة والمتضاربة ، الفرق بينهما يتمثل في دور المصلحة المشتركة ، قد تكون الرغبة في تحقيقها احد الرغبات الرئيسية لكلا الطرفين لكن عدم الثقة في الطرف الاخر يدفع الى الصراع ، وفقا لهيكل عوائد معضلة السجين يتم دفع اللاعب لاختيار استراتيجية غير تعاونية خوفا من ان يستغل من قبل الخصم لأنه يشكك في تعاونه ، اما في معضلة الجبان عادة المصلحة المشتركة هي ما يتم التلاعب به كوسيلة لإكراه المنافس لأن عدم التعاون المتبادل هو أسوأ نتيجة محتملة. [22] و هو ما ينطبق على تنافس القوى الدولية في سوريا . فبعد تدويل القضية السورية في مجلس الأمن ،و التي يمكن التعبير عنها بمعضلة السجين. عبر محاولة الولايات المتحدة ، فرنسا و بريطانيا اصدار قرار امي يدين نظام الاسد و يسمح بعمل عسكري ضد قوات النظام ، جوبه هذا هذا الموقف الاطلسي بفيتو روسي /صيني ، تميزت المباراة بين اللاعبين بالتنافس حول بقاء/ رحيل نظام الاسد و هو ما يمكن التعبير عنه بمباراة صفرية اذ كل طرف يسعى لتحقيق مكاسب نسبية ، مثل بقاء نظام الاسد ربح او خسارة لكل طرف . عرفت اللعبة تصلب الموقفين الروسي و الامريكي ، غير ان مع تقدم الوقت و زيادة التدمير المتبادل بين أطراف النزاع و كذا ظهور مغريات غير مالوفة عرف نموذج

اللعبة خللا و التحول إلى لعبة غير صفرية ذات مكاسب للجميع . وفق منطق نظرية الالعاب هذا التحول يعبر عنه بالانتقال إلى معضلة الجبان .[23]

و بهذا الخصوص يرى **كيوهن و ماكسلرود** Robert Axelrod; Robert O. Keohane ، امكانية التعاون بين اللاعبين في ظل ثلاثة أبعاد ظرفية التي تؤثر على ميل الجهات الفاعلة للتعاون: تبادل المصالح، توقعاتها للمستقبل وعدد الفاعلين.[24] و على اعتبار ان الأزمة السورية هي نزاع متعدد الأطراف ، فان تبادل المصالح يمكن تمييزه عبر اولى نقلات التعاون بين المحورين التي جاءت بعد الاتفاق حول تدمير مخزون السلاح الكيماوي السوري ثم لاحقا إلى رعاية مفاوضات جنيف ، التنسيق العسكري، اقرار الهدنات و غيرها منها مبادرات التنسيق الأمني خاصة مع الاكراد و محاربة داعش . اما توقعاتها للمستقبل يعتبر المتغيران السابقان النقطة السرجية للقوى الدولية امريكا و روسيا و التحول من المنافسة إلى التعاون في القضية السورية ، باعتبار داعش يمثل التهديد الاول للأمن الدولي ، اولوية محاربة داعش في حين التركيز على الالية الدبلوماسية لتسوية النزاع السوري ، اما الاكراد فيعتبرون الحليف الموثوق به لمحاربة التنظيم داخل سوريا . اظافة إلى كون من يحكم سوريا بالنسبة واشنطن ليس بنفس الاهمية للقوى الاخرى .[25]

احتمالات الدور الامريكي و انعكاساته على النزاع :

انطلاقا من مأزق امريكا ، اصطدام تصورات الضرورات الأمنية و نظيرتها المتعلقة بتعزيز الديمقراطية سنقوم من خلال عدسة النظرية قراءة الاحتمالات الممكنة للسلوك الإستراتيجي الامريكي و انعكاساته على إدارة النزاع السوري ، و التي يمكن التعبير عنها وفق جدول المباراة :

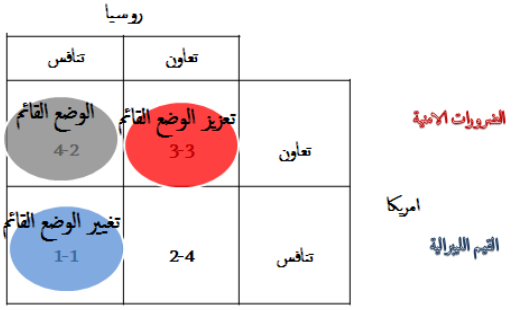

الشكل 02 : عوائد معضلة الجبان بين روسيا و الولايات المتحدة

تحليل العوائد :

4-2 : الوضع القائم ، بمعنى مسايرة الموقف اي ترك الدور لروسيا في إدارة الصراع. اهم انعكاس هو تعزيز تطبيق بنود استانة ، اي صنع السلام وفق المقاربة الروسية و تصنيفها للمنظمات الارهابية و المعارضة المعتدلة مع العمل لإيجاد مخرج للأزمة السورية يحافظ فيها نظام الاسد على مستقبله السياسي ، و هو الوضع الذي من شانه ان يضعف الموقف التفاوضي للقوى الإقليمية الساعية للتغيير، خاصة في ضل بداية لين الموقف التركي بعد زيادة التنسيق الأمني مع ايران و ادراكها جدية التهديد القادم في حالة قيام كيان كردي مستقل .

3-3 : تعزيز الوضع القائم ، تغليب الاعتبارات الأمنية ، ضمنيا ستتعاون امريكا مع روسيا لمحاربة التنظيمات الارهابية في سوريا و حل الأزمة السورية عبر الاطر الدبلوماسية ، هذا التوافق يدفع الى انضاج النزاع و يعزز اجراءات بناء السلام بين الأطراف السورية . عمليا سيتشكل حلف دولي لمحاربة هذه التنظيمات التي تم اعادة تصنيفها وفق مفاوضات استانة . زيادة على التنسيق الأمني مع نظام الاسد في العمليات العسكرية بمعنى اعادة الشرعية الدولية للنظام مع منح دور للمعارضة في المرحلة الانتقالية .

1-1: تغيير الوضع القائم ، اي تغليب القيم الليبرالية ، حقوق الانسان و الديمقراطية . و فق هذه الاعتبارات سيكون هناك مراجعة للموقف الامريكي تجاه نظام الاسد بخصوص عملية الانتقال السياسي التي اقرها بيان جنييف 2 ، بمعنى اخر زيادة الضغط على روسيا من خلال العديد من الخيارات : زيادة تسليح المعارضة بأسلحة نوعية ، اقامة مناطق أمنة ، القيام بضربات جوية ضد جيش النظام . هذا المسار يغذي و يصعد من مستوى العنف البنيوي مع احتمالية اطالة امد النزاع التي تكون نهايته عبر اقصاء الخصم .

2-4 : روسيا تتنازل للولايات المتحدة عن دورها في سوريا ،وفق هذا التصور تتغير موازين القوى على الميدان ، في ضل عدم وجود سند قوي سيتم تطويق نظام الاسد الذي تكون نهايته حتمية . هذا السيناريو مستبعد نظرا للإستراتيجية البحتة الروسية التي انتهجتها طوال مسار الأزمة السورية بدءا باستخدام حق الفيتو في 2011 ضد فرض عقوبات على نظام الأسد حتى الفيتو السابع في فيفري 2017 ضد قرار ادانة نظام الاسد لاستعمال الاسلحة الكيماوية .اظافة إلى الدعم المستمر المادي و العسكري .

5/ السيناريوهات و تداعياتها الإقليمية :

وفقا لعوائد المباراة التي تم النظر اليها سابقا ، يمكن استشراف ثلاث سيناريوهات ممكنة لتداعيات إستراتيجيات القوى الدولية على السياسات الاقليمية في الشرق الأوسط . هنا تصبح الالعاب الفرعية بين القوى الاقليمية جزءا من اللعبة الواسعة ، من منظور نظرية المباريات تعرف بالألعاب المتعددة المستوياتA MULTILEVEL GAMES . ففي السياسة الدولية ترتبط معظم القضايا إلى قضايا أخرى .وهذا يعني أن المباريات التي لعبت في قضايا مختلفة او في مختلف "رقاع الشطرنج"، بتعبير **ستانلي هوفمان** يؤثر بعضها ببعض حيث يصبح الاتصال بين الألعاب مهم عندما يتم ربط المشكلات[26]. و بالتالي الأبعاد الثلاثة : المصالح المتبادلة ، وظلال المستقبل و وعدد اللاعبين تساعدنا على فهم اسباب تحول هذه السيناريوهات . فالقوى الاقليمية تسعى لاكتساب مزيد من النفوذ التفاوضي في القضايا الاقليمية من خلال الدور الذي تلعبه في النزاع السوري ، وقد تتسبب بعض الاطراف في اثارة الصعوبات في الانتقال نحو انهاء النزاع ، ففي حال وجود اتفاقية سلام يهدف المفسدون كما يشير **ستيدمان** الى منع اجراءات السلام من الحدوث لتضاربها مع مصالح جماعة معينة و هو ما يدفع بالتسبب بتحريك عنيف لمحاولة اعادة النزاع و القيام بتحركات تدميرية.[27]

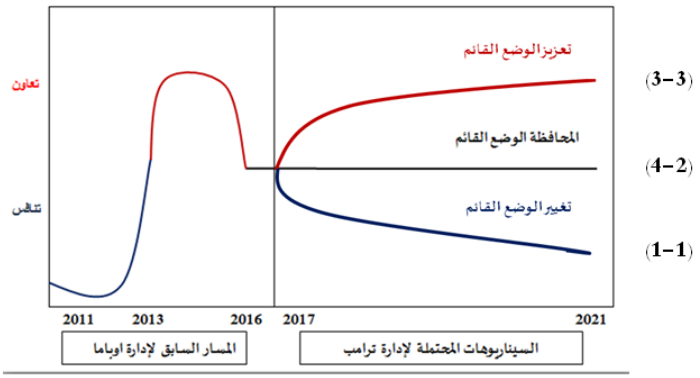

الشكل 02 : السناريوهات المحتملة

1- سيناريو الوضع القائم : نسجل ملاحظة هنا ، المقاربة العسكرية الروسية تركز على مناطق تواجد النظام و المصالح الروسية . عمليا يمكن لهذا الوضع ان يزيد من تمكين و جذب الفواعل الما تحت دولاتية

في المناطق خارج مجال القصف الروسي ، كما ان هذا الفراغ يخلق انكشاف أمني للسعودية ، تركيا و الاردن. وفق هذا السيناريو سيستمر التنافس بين قوى المحافظة على الوضع و قوى التغيير .و بموجب ديناميات النزاع احتمال عدم الوصول إلى تسوية يزيد من مخاطر فدرلة سوريا. إقليميا سيعرف تثبيت الدور الايراني في سوريا حتى و ان لم يوفي طموحها ،مع تقييد الدور السعودي و اعطاء دور اكبر لتركيا في عمليات إدارة النزاع .

دوافع تحقيق هذا السيناريو : القاعدة الاولى بالنسبة للولايات المتحدة هي تجنب الاسوأ ، و هو ما يعني تجنب الافضل ايضا .

روسيا تقوم بما يجب القيام به و المهم هنا لأمريكا انها تحارب التنظيم . فالمقاربة الروسية في سوريا حتى و ان لم تخدم مصالح امريكا فهي لا تمس بمصالحها (أمن اسرائيل) ، زيادة على ذلك من يحكم سوريا ليس بنفس الاهمية لأمريكا كباقي القوى الإقليمية . اظافة إلى كونها حرب استنزاف تنهك روسيا ، ايران و وكلائهما في المنطقة ،حتى تحقيق توازن قوى جديد وفق الرغبات الامريكية .

حدود تمكين هذا السيناريو : عدم استمرار الوضع القائم يرجع لعدة اسباب . اولا، زيادة تكلفة التدخل الروسي خاصة في ضل النتائج المحدودة للضربات الجوية. ثانيا، يمكن استمرار الوضع القائم تقوية التحالف المناهض للسياسة الامريكية عبر محور ايران ، العراق ، سوريا مع احتمالية انضمام تركيا و لو في شكل اخر عبر منظمة البريكس .[28] بقراءات مختلفة محاولة روسيا اعادة تشكيل بنية الشرق ال أوسط يدخلها في منافسة امريكا على إدارة شؤون السياسة الدولية. و اخيرا عودة الولايات المتحدة إلى إستراتيجية فارض التوازن لحماية الحلفاء في المنطقة من النفوذ الايراني بحيث سيبقى الشرق ال أوسط ذو اهمية إستراتيجية بالغة في سياسات احتواء الصين ، تطويق روسيا و عزل ايران .[29]

2-سيناريو تغيير الوضع : التنافس الدولي يعيد اجواء الحرب الباردة إلى الشرق ال أوسط ، زيادة التحالفات مع القوى الإقليمية ما يسمح بتعزيز دور الفواعل العبر دولاتية التي يستفيد منها الطرفان في خضم سوريا المفككة و بالأخص الاكراد . امكانية المواجهة المباشرة ما بين القوى الإقليمية او ما يعرف بمعضلة الأمن التقليدية لثوسيوديس ،كما ان احتمالية التنافس بين القوى الإقليمية قد تدفع إلى ما يعرف بتوازن القوى التنافسي بتشكيل تحالفين متضادين ، تكون فيه دول الشرق ال أوسط مجبرة على الانضمام او المسايرة و غير ذلك ، الدول التي ترفض الانحياز ستتحمل عبئ المنافسة بين الحلفين .

دوافع تحقيق هذا السيناريو : ضغط حلفاء امريكا التقليديين في المنطقة لأجل الحد من الدور الايراني ، و هو ما يلمس من خلال الخطاب الهجومي لترامب تجاه ايران . و الذي تبعه ممارسات عملية في ضوء وجود عديد من التهديدات المحتملة بعد سلسلة التجارب الصاروخية بفرض عقوبات جديدة ، و لاحقا بفسخ عقد الاتفاق النووي مع ايران . اظافة إلى العمل نحو تشكيل تحالف جديد في الشرق ال أوسط لموازنة ايران .[30] هذه المؤشرات تعد دافع في اعادة النظر في نمط السياسة الخارجية الامريكية تجاه الشرق ال أوسط ، خاصة بعد دعوة ترامب رفع ميزانية الدفاع بعشرة بالمئة لأجل تحقيق المصالح الامريكية في العالم .

حدود تمكين هذا السيناريو : عواقب هذه العملية قد تؤدي إلى مواجهة مع روسيا في المنطقة ، و انغماس الولايات المتحدة في حرب مكلفة غير محسوبة المخاطر ، ويرى معارضو التدخل العسكري أنه ستكون هناك مخاطر محتملة إذا انخرطت الولايات المتحدة في صراع آخر في الشرق ال أوسط مع وجود عواقب جيوسياسية عميقة ، خاصة عدم وجود إطار زمني محدد لمدة العمليات العسكرية. كذلك تخوف معارضو فكرة تسليح المعارضة أن تصل هذه الأسلحة إلى الفئات المتطرفة التي ثبت ارتكابها انتهاكات تتعلق بحقوق الإنسان. كما يمكن أن تشمل التحديات الأخرى عدم اليقين بشأن الأهداف السياسية لحركة المعارضة ، وما يمكن أن يتبع سقوط نظام الأسد.

3-سيناريو تعزيز الوضع القائم : دور اكبر للولايات المتحدة في إدارة الأزمة مع الانخراط الميداني لمحاربة التنظيمات الارهابية ، يدفع هذا السيناريو باتجاه تعزيز المصالح الإستراتيجية طويلة الأجل بين الولايات المتحدة و روسيا، اما إقليميا نحو تشكيل توازن قوى محلي مبني على التوافق و هو اشبه بنظام واستفاليا ، حيث يتم اعادة تقسيم مناطق النفوذ الجيوسياسي عبر منظار القوى الدولية ، سيعيد هذا الوضع اعادة تعريف ادوار القوى الإقليمية مع الحد من نفوذ ايران .

دوافع تحقيق هذا السيناريو : تبني الاعتبارات الأمنية في تحديد السلوك الامريكي ، بتمدد تنظيم داعش و عدم حسم معركة الحرب على التنظيمات الارهابية إلى الان، زيادة العمليات الارهابية في اوروبا اظافة إلى تدفق اللاجئين . هي المبررات الأمنية التي اعتمدها ترامب من اجل تجسير فجوة التعامل مع روسيا لمحاربة التنظيم في سوريا و العراق .اظافة إلى عجز او عدم رغبة حلفاء امريكا في المنطقة بقيام دور اكبر في محاربة داعش .

حدود تمكين هذا السيناريو : صعوبة تحقيق هذا السيناريو تكمن في موقف الادراة الامريكية من النظام الروسي جمهوريين او ديمقراطيين خاصة بعد اتهامه بالتدخل في الانتخابات الاخيرة ، بتعبير اخر العراقيل الادراية التي سيواجهها ترامب من قبل مجلس النواب او الكونغرس ، اظافة إلى كون التعاون الأمني مع روسيا ستكون عليه قيود من قبل مجلس الأمن القومي الامريكي، الذي ينظر إلى روسيا انها التحدي الأخطر حسب وثيقة الأمن الإستراتيجية 2017.[31] وبالتالي لن يقبل التعامل مع روسيا كشريك وسيبقى ساعيا لإضعافها وتطويقها وتشديد العقوبات الاقتصادية عليها.

خاتمة :

تبقى هذه السيناريوهات مفتوحة الاحتمالات تحت تأثير الأطراف الثالثة إلى غاية الوصول إلى تسوية نهائية للأزمة السورية ، و حتى حدوث تغيير يستمر الوضع القائم ، اي دور اكبر لروسيا في إدارة النزاع سواء ميدانيا او عبر رعاية المفاوضات و اتفاقات الهدنة . و هي صيغة مربحة لأمريكا حيث تتكفل روسيا بمحاربة الارهاب و تتحمل الفاتورة لوحدها. إقليميا سيستمر التنافس بين القوى الإقليمية ، مع دور محدد لإيران و تركيا في إدارة النزاع وفق المقاربة الروسية و تقليص دور القوى العربية . استمرار هذا الوضع وفق قاعدة النظرية يدفع إلى توازن ناش ، و هو التوازن الذي يتحقق لما تبدأ توقعات اللاعبين للربح النهائي بالتضاؤل مع مرور الوقت ،و تدفعهم للتفكير كيف يمكنهم عبر المفاوضة انهاء اللعبة دون خسائر اظافية.

الهوامش :

[1] William Zartman, conflict management as cooperation. In international cooperation: the extents and limits of multilateralism.(Cambridge: university press.2010).p.161.

[2] عادل زقاغ. حل النزاعات الدولية ومسألة التوقيت المناسب: مراجعة لنظرية لحظة النضج.

[3] عادل زقاغ ، نفس المرجع .ص.

[4] محمد سيد سليم ، تحليل السياسة الخارجية ، (القاهرة : مطبعة مدبولي ،ط2 ، 199).ص ص.340-341.

[5] William Zartman, ibid, p.161.

[6] William Zartman, ibid, p.2

7 Robert Jervis, Cooperation under Security Dilemma.(world politics , vol 30, No 2 .jan. , 1978 , pp.167-214).p. Glyn H Snyder, The Security Dilemma in Alliance Politics. World Politics, Vol. 36, No. 4 (Jul., 1984), pp. 461-495.Robert Axelrod, Robert O. Keohane, Achieving Cooperation under Anarchy: Strategies and Institutions. World Politics, Vol. 38, No. 1. (Oct., 1985), pp. 226-254.[8] Robert Jervis, Cooperation under Security Dilemma. world politics , vol 30, No 2 (jan. , 1978) , pp.167-214.

[9] محمد سيد سليم ، مرجع سابق ، ص.241-243.

[10] بيتر فالنستين، مدخل الى فهم تسوية الصراعات : الحرب و السلام و النظام العالمي .(ترجمة :سعد السعد ، محمد دبور. عمان : المركز العلمي للدراسات السياسية ، 2005) . ص.76.

[11] برهان غليون ، التقرير الإستراتيجي. انظر : http://sdsc.org/arabic/author/Yaman /

[12] يمكن مراجعة تفاصيل المفاوضات على موقع الامم المتحدة http://www.un.org

[13] William Zartman, ibid, p.2

[14] هنري كيسنجر، النظام العالمي: تاملات حول طلائع الامم و مسار التاريخ.(ترجمة :فاضل جتكر. بيروت : دار الكتاب العربي . 2015).ص. 149 .

[15] Steven Walt, Who Is a Better Strategist: Obama or Putin?
http://foreignpolicy.com/2015/10/09/who-is-a-better-strategist-obama-or-putin/

[16] هنري كيسنجر، مرجع سابق ، ص.126.

[17] Steven Walt,ibid.

[18] خليل سليمان ، الازمة الدولية و النظام الدولي : دراسة في التأثير المتبادل بين ادارة الازمات الاستراتيجية الدولية و هيكل النظام الدولي. (الدوحة : المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ،2011).ص.12.

[19] سعيد رفعت ، ابعاد الادوار الدولية و الاقليمية في ازمات المنطقة ، (شؤون عربية ، عدد 163 ، خريف 2015) ، ص ص.5-16.

[20] توماس شيلينغ ، استراتيجية الصراع ، (ترجمة : نزهت طيب و اكلرم حمدان ، بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، 2010) ، ص .

21 Glenn H. Snyder ,ibid .p.67.

[22] Glyn H Snyder, ibid, p.83.

[23] Robert Jervis, ibid,p.177.

[24] Robert Axelrod; Robert O. Keohane, ibid, p.228.

[25] هنري كيسنجر، مرجع سابق.

[26] Robert Axelrod; Robert O. Keohane. ibid.p.239.

[27] بيتر فالنستين، مرجع سابق ، ص. 92.

[28] تعاظم نفوذ روسيا في الشرق الأوسط. نقلا عن موقع الجزيرة الالكتروني . انظر : goo.gl/YavwFi

[29] How Big a Challenge Is Russia?
https://www.foreignaffairs.com/ask-the-experts/2017-11-13/how-big-challenge-russia

[30] ترامب يرفض الإقرار بالتزام إيران بالاتفاق النووي ، موقع تليفزيون بي بيس ي .انظر الرابط :
http://www.bbc.com/arabic/world-41611624

[31] استراتيجية الامن القومي الامريكي . ديسمبر 2017 ، انظر الرابط :
https://www.whitehouse.gov/wp-content/uploads/2017/12/NSS-Final-12-18-2017-0905.pdf